نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب

تعالى " (فيهما فاكهة ونخل ورمان) الرحمن فإن الأيام لم تزل بهم كأعياد وكان لهم من الحنو على الأدب ما لم يقم به بنو حمدان في حلب وكانوا هم وبنوهم ووزراؤهم صدورا في بلاغتي النظم والنثر مشاركين في فنون العلم وآثارهم مذكورة وأخبارهم مشهورة وقد خلدوا من المكارم التامة ما هو متردد في ألسن الخاصة والعامة وبا إلا سميت لي بمن تفخرون قبل هذه الدعوة المهدية أبسقوت الحاجب أم بصالح البرغواطي أم بيوسف بن تاشفين الذي لولا توسط ابن عباد لشعراء الأندلس في مدحه ما أجروا له ذكرا ولا رفعوا لملكه قدرا وبعدما ذكروه بوساطة المعتمد ابن عباد فإن المعتمد قال له وقد أنشدوه أيعلم أمير المسلمين ما قالوه قال لا أعلم ولكنهم يطلبون الخبز ولما انصرف عن المعتمد إلى حضرة ملكه كتب له المعتمد رسالة فيها .

(بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا ... شوقا إليكم ولا جفت مآقينا) .

(حالت لفقدكم أيامنا فغدت ... سودا وكانت بكم بيضا لياليا) .

فلما قرئ عليه هذان البيتين قال للقارئ يطلب منا جواري سودا وبيضا قال لا يا مولانا ما أراد إلا أن ليله كان بقرب أمير المسلمين نهارا لأن ليالي السرور بيض فعاد نهاره ببعده ليلا لأن أيام الحزن ليال سود فقال وا جيد أكتب له في جوابه إن دموعنا